الخاتمة

وتشتمل على المباحث التالية

١ - بين العز والذين كتبوا فى المجاز .

٢ - مناحى التأثير والتأثر .

٣ - المحدثون والعز بن عبد السلام .

٤ - دراسة تقويمية لكتاب « الإشارة إلى الإيجاز .. »

أ - منهج المؤلف فى الكتاب وما له فيه .

ب - مصادر المؤلف فى الكتاب .

جـ - نقد الكتاب وما عليه من هنات .

والمقدم على الحقيقة هو الله عز وجل ، وسببه كفرهم ، وسبب كفرهم ، أمر رؤسائهم إياهم بالكفر».[١]

وقد يوجه العز الآية أكثر من توجيه ، ويربطها بأكثر من نوع من المجاز ، ومثال ذلك آية « قوا أنفسكم» وقد سبق عرضها ، وقوله تعالى « لأحتنكن ذريته»[٢] ، فإن أراد بالاحتناك عذاب الآخرة ، وإهلاكها ، فقد نسب الاحتناك إلى سبب سببه ، وإن أراد الإيقاع فى المعاصى فقد تجوز عن المعاصى بالاحتناك لأنها سبب له ، فيكون من مجاز تسمية السبب باسم المسبب ، لأن الإهلاك سبب عن عصيانهم ، وعصيانهم سبب عن أمر الشيطان وتسويله ، أو يجعل ذلك من مجاز التشبيه ، من قولك : احتنكت الدابة إذا أجررتها بما تجعله فى حنكها ، شبه سوقه إياهم إلى المعاصى بتزيينها بالحبل الذى يجعل فى حنك الدابة لتجربة» .[٣]

فالمجاز فى الآية جعله العز فى:

أ - سبب السبب .

ب - مجاز تسمية السبب باسم المسبب .

جـ - مجاز التشبيه (الاستعارة).

فى نسبة الفعل إلى سبب سبب سببه :

ذكر العز لهذا الفصل مثالا واحدا قوله تعالى « ومنهم من يقول إئذن لى ولا تفتنى»[٤] ، نسب الفتنة إلى الرسول ﷺ لأنه إذا أمره بالخروج كان ذلك سببا فى خروجه وكان خروجه سببا لرؤيته بنات بنى الأصفر ، وكانت رؤيته إياهن سببا لافتتانه بهن»[٥]

وتفرد العز بهذه العلاقة ، وتوسع فى إبراز نسبة التجوز فى الآية وهذا يدل على عمق فهمه وتحليله الدقيق للوصول إلى المجاز فى الآية .

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص٤٦ .

(٢) سورة الإسراء [٦٢] .

(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص٤٦ .

(٤) سورة التوبة [٤٩] .

(٥) سورة التوبة [٤٩] .

بين العز والذين كتبوا فى المجاز

لما كان من أهداف البحث تقييم العز وتحديد مكانته ، وبيان منزلته بين العلماء الذين تناولوا موضوع المجاز ، وجدت من المحتم علي أن أزّيل هذه الدراسة بما يشير إلى جهوده ، وجهود الذين كتبوا فيما كتب فيه ، فذلك أعون على إصدار حكم صادق على الرجل .

ومع أننى قد عرضت لبعض هؤلاء عند الحديث عن الدراسات السابقة للعز وأثرها عليه فى بداية الباب الثانى من البحث ، إلا أن ذلك كان لمحا خاطفا ، وكان الغرض منه الإشارة إلى أن العز مسبوق بكتابات فى هذا الميدان تمهيداً للوصول إلى موضوع الدراسة

أما-هنا- فإنى أتناول الذين كتبوا فى المجاز وخصّوه فى مباحثهم ، وجعلوه عنوانا لكتبهم ، والغرض من ذلك معرفة قيمته الفنية لنوازنه بما فعله العز فى كتاب الإشارة إلى الإيجاز .

وهما : أبو عبيدة صاحب كتاب « مجاز القرآن » ، والشريف الرضى صاحب الكتابين المشهورين « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » « والمجازات النبوية » لبيان موقع العز منها ، وأين تقع جهوده من جهودهما ، وسأكتفى بمجرد التمثيل خشية الإطاله .

سبق وأن تحدثت بإيجاز عن كتاب أبى عبيدة « مجاز القرآن فى الفصل الأول من الباب الثانى ، وانتهينا فيه إلى أن أبا عبيدة لم يكن يقصد فى كتابه بكلمة « المجاز » المعنى الاصطلاحى الذى وضعه العرب لعلاقة جامعة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى وإنما كانت تعنى فى هذا الكتاب مجرد تفسير الكلمة بمثل معناها .

ولقد كان منهجه فى الكتاب منهجاً لغويا تشتد فيه العناية بالغريب فيذكر الآية ويفسر غامضها بما يحفظ من نوادر اللغة ، وإذا قلبت الكتاب بين يديك لم تجد فيه إلا القليل مما يدل على المجاز بمعناه الاصطلاحى .

يقول فى قوله تعالى : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » فهذا محذوف فيه ضمير مجازه : وسل أهل القرية ومن فى العير[١] وقوله تعالى « إنما المشركون نجس » [٢] ، ومجازة : قذر [٣] .

---

(١) أنظر : مجاز القرآن لأبى عبيدة ج ١ ص ٨

(٢) سورة :

(٣) أنظر : مجاز القرآن ج ١ ص ٢٥٥

وقوله تعالى « يحملون أوزارهم » [١] قال : واحدها : وزر ، مكسوره ، ومجازها : آثامهم [٢] .

فالمجاز عند أبى عبيد هو معبر وجواز إلى فهم ألفاظ القرآن وتفسير لغريبه ، وشرح لألفاظ القرآن شرحا معجميا لم يبرز الصورة البيانية أو المجاز الإصطلاحى كما هو معروف عند المتأخرين .

ولذلك نرى محقق الكتاب يؤكد هذا القول بقوله : « إن كلمة مجاز عند أبى عبيدة عبارة عن الطرق التى يسلكها القرآن فى تعبيراته ، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذى حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد » [٣] .

ومع ذلك فإن كثيراً من العلماء يعتقد أن مجاز القرآن لأبى عبيدة يعتبر بحق النواة الأولى للبحوث البيانية [٤]

وهذا القول غير مسلم به على إطلاقه لأن أبا زيد القرشي وهو أسبق وجوداً من أبى عبيدة قد استعمل كلمة « المجاز » قبله ، والذى ينسب إلى أبى عبيدة هو اشتهار المجاز وليس أسبقية القول به [٥] .

ثم يقرر الأستاذ / محمد عبد الغنى حسن أن أول كتاب أُلف فى هذا الشأن هو كتاب الشريف الرضي « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » [٦]

ولهذا السبب لا يمكن أن نقارن أبا عبيدة بالعز بن عبد السلام ، ولكن الأفضل أن نقارنه بالشريف الرضي الذي تطور البحث المجازى على يديه إلى معناه الاصطلاحى أو قريباً منه .

وسوف أنقل نبذاً من كتاب كل منهما حتى يتضح الفرق بين منهج الكتابين وفهم كل منهما لموضوع المجاز .

---

(١) سورة التوبة : آية [٢٨] (٢) أنظر مجاز القرآن ج ١ ص ١٩٠

(٣) أنظر : مجاز القرآن المقدمة ص ١٩ ج ١

(٤) أنظر مقدمة كتاب « بديع القرآن » تحقيق د . حفنى شرف

«والقرآن وأثره فى الدراسات النحوية » لعبد العال سالم مكرم ص ٢٤٥ ، ومناهج تجديد للأستاذ أمين الخولى ص ١٠٧ .

(٥) أنظر : المجاز فى اللغة والقرآن . دار المعارف ج ٢ ص ١٠٥

(٦) أنظر مقدمة تحقيق لكتاب التلخيص ص ٣٠

قال الشريف الرضى : فى قوله تعالى : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات ، والمراد بها : واسأل أهل القرية التى كنا فيهـا ، وأصحاب العيـر التى أقبلنا فيهـا ، ومما يكشف عن ذلك قوله تعالى: « ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين [١] والقرية هى الأبنية المعروفة ، والخطط المسكونة ، لا يصح منها عمل الخبائث ، فعلم أن المراد بذلك أهلها لا أنفسها »[٢] .

ولو قارنا هذا النص بنص العز فى أن حذف المضاف ليس من المجاز ، حيث استدل بالآية فقال : « ليس حذف المضاف من المجاز،لأن المجاز استعمال اللفظ فيما وضع له أولا والكلمة المحذوفة ليست كذلك ، وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف ، وقوله تعالى:« واسأل القرية » فنسبة السؤال إلى القرية والعير هو التجوز ، لأن السؤال موضوع لمن يفهمه ، فاستعماله فى الجمادات استعمال اللفظ فى غير موضعه ، فكونهما مسئولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز ، ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية وأصحاب العير من ملازمتهما »[٣] .

فالشريف الرضي ذكر أن الآية استعارة من مشاهير الاستعارات ولم يتناول التفاصيل الدقيقة التى ذكرها العز .

ومن خلال هذا النموذج ونماذج أخرى كثيرة ، وبالإطلاع على كتاب الشريف الرضي ، يلاحظ عليه أنه يجرى وراء المعنى لا يلوى على شئ آخر شأنه فى ذلك شأن اللغوى الذى يكشف عن معانى الألفاظ المبهمة ، وإذا تحدث عن الجانب البلاغى لم يتقيد بمصطلح البلاغيين .

وتأكيداً لذلك أذكر قول الأستاذ الدكتور / طه الزينى محقق كتاب « المجازات النبوية » للشريف الرضى - « فإن الشريف الرضى - رحمه الله لم يتقيد بما اصطلح عليه علماء البلاغة من أسماء الإستعارة والتشبيه ، والكناية والمجاز وغيرها فهو يجعل التشبيه مجازا مرة ، واستعارة مرة أخرى ، ولا يبين الاستعارة التصريحية من المكنية ، ولا الأصلية من التبعية ، ولا يفرق بين التشبيه البليغ والتشبيه المرسل ، ولا بين المجاز العقلى والمرسل »[٤] .

---

(١) سورة الأنبياء : آية [٧٤] .
(٢) أنظر : تلخيص البيان فى مجاز القرآن ص ١١٨ . تحقيق د . مقله
(٣) الإشارة إلى الإيجاز ص ٨ (٤) مقدمة المجازات النبوية ص د ، هـ تحقيق د . طه الزينى .

لكن كتاب العز يمتاز على كتاب الشريف الرضى بجمعه بين ما ذكر قواعد المجاز ومصطلحاته وتفهمه لهذه المصطلحات عند التطبيق على القرآن مع التوجيه بينما اقتصر الشريف الرضي على الجانب التطبيقى فقط دون الإلتزام بمصطلحات علماء البلاغة ، ولعل السبب فى ذلك أن الشريف الرضي جاء فى عصر لم تكن البلاغة قد نضجت بعد ، وأما العز فوجد أمامه ثروة ضخمة من كتب البلاغة والأصول ، وأبحاث أساطينها من أمثال عبد القاهر والسكاكى ، والفخر الرازى والزمخشرى ، فنهل من علمهم ، واستوعب مباحثهم واستخلص منها ما عالج به أساليب القرآن الكريم لبيان ما فيه ما إيجاز ومجاز .

وفى رأيى أن العز أدق مذهباً ، وأصح نظرا وأشمل دراسة لقضية المجاز من الذين سبقوه سواء تناولوا القضية فى مبحث ضمن كتبهم أو أفردوه بالتأليف والبيان كأبى عبيده والشريف والرضي .

وبعد فهذه إلمامة لمبحث المجاز والكتب التى أُلفت حوله قبل العز وكتابه الإشارة ، والمسمى فى موضع آخر بمجاز القرآن ، وعلى طول المدى كان القرآن هو الدافع الأول إلى دراسة المباحث البلاغية لتستبين منزلته ومكانته ، وأنه منها فى المحل الأعلى .

وقلّ أن تقرأ كتابا فى البلاغة لا يستشهد صاحبه فيه بالقرآن ، وأنه من أجل إعجازه وبلاغته واشتماله على الحقيقة والمجاز ، ألف ما ألف فيه ، وكتاب العز أثر من آثار القرآن الكريم الذى حظيت به لغتنا العربية .

مناحى التأثير والتأثر :

إن هذه المناحى التى تصور عليها العز المجاز فى القرآن الكريم ، وهو تصور لم يستغرقه أحد قبله ، وإن كانت الفكرة الأساسية مما قيل من قبله ، وذلك فى الحقيقة يجعل عز الدين - وبحق - من أوائل من حاولوا تبيين المجاز فى القرآن على هذا النحو العريض الذى جمع بين آراء البلاغيين والأصوليين بين دفتي كتاب واحد لدراسة أسمى كتاب عرفته البشرية .

وإذا كان عز الدين بن عبد السلام قد انتفع بجهود السابقين ، ونقل عنهم ، فإنه فى كثير من الأحيان يعقب عليهم مما يعتبر جديدا قد وفق فيه ما لم يوفق فيه غيره .

وإذا كان العز لا يتناول فى كتابه الرسوم والحدود والتعاريف لأقسام المجاز التى يذكرها ، فإنه قد استعاض عن ذلك بوضع اليد على تلك الأقسام ممثلة فى النص القرآنى والنصوص الأدبية الأخرى ، وتلك طريقة المتذوقين ، بخلاف ما نلمح فى مثل صنيع من سبقه من البلاغيين الذين يهتمون بالتعاريف كالمناطقة وعلماء الكلام .

على أنه حين يثبت أن العز اطلع على كتابات السابقين وأخذ عنها ، فإن ذلك لا يضره ، ولا يمنع أن يكون أصيلا فى كثير مما كتب ، لإنه وإن سبق بأصل الفكرة ، فإنه قد عمل عقله فيها فأضاف وجدد وارتضى وابتكر وأنكر .

فالعز بحاثه ماهر فى كتاب الله تعالى يبحث عن المجازات فيه من خلال الإيحاءات والأسرار التى تفهم من وراء التعبير القرآنى الكريم ، ويفصل القول فيما احتوى عليه القرآن من ألوان المجاز وفنونه وضروب الحذف ومحاسنه،وإيجاز الأمثال ، وروعة التضمين وما فى القرآن من تلوين الخطاب التى خاطب العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ، ولعله بذلك رد على منكرى المجاز فى القرآن الكريم واللغة العربية بوجه عام .

وحسب العز وحسب كتاب « الإشارة إلى الإيجاز » أن يكون قد اثار موضوعا جديراً بالاهتمام فى مجال الدراسات البلاغية ، ذلك هو دراسة القرآن الكريم دراسة تطبيقية مفصلة يتناول فيه ظاهرة المجاز تناولاً مفصلا قدم لها تحليلا موجزا يكشف عن سر البلاغة فيه ، وهذا وحده يحسب للعز .

فى التأثير :

لقد ظهر فى الباب الثانى من البحث مدى تأثر العز بمن قبله ، وقد صرح ببعضهم ، دون أن يذكر المصدر الذى نقل منه ، ومنهم : سيبويه وأبى عبيدة وأبى على الفارسى ، وأبى موسى الأشعرى ، والباقلانى ، والزمخشرى ، ومنهم من لم يصرح بهم كالرمانى ، وعبد القاهر الجرجانى ، وابن قتيبة ، والشريف الرضى ، وابن عطية ، وغيرهم مما ظهر أثناء البحث .

أما تأثير العز فيمن بعده ، فواضح جلي ، سواء كان ذلك فى مباحث الأصوليين أو البلاغيين ، فقد نقل عنه الخطيب القزوينى ، وتابعه فى ذلك السعد وسلسلة الشراح ، وابن القيم الجوزية ، والسيوطى ، والزركشى .

وهؤلاء جميعاً ينقلون عن العز فى أماكن متفرقة ، وعلى مساحة فسيحة من صفحات كتبهم ، وبعضهم يذكر أحيانا أنه نقل عن العز ، ولكنه لا يشير إلى المصدر الذى نقل عنه ، ولا يصرح باسمه ، كابن القيم الجوزية ، والإمامين : السيوطى والزركشى .

أما الخطيب القزوينى ومن تابعة ، فلم يشر أية إشارة إلى المصدر الذى نقل عنه ، وكأنه استنكف أن يكون لأحد الأصوليين فضل التأثير على البلاغة عند البيانيين .

ويكاد النقل يكون حرفيا فى هذا الباب ويتبدى ذلك عند النظر فى كتب هؤلاء المتأثرين بالعز ، واجتزئ عن التمثيل بذكر ثبت للأبواب التى اشتركوا فى ذكرها ، ومواضعها ليرجع إليها فى هذه الكتب فيستبين النقل الكامل .

والإمام بدر الدين الزركشى هو وحده الذى لم يتقيد بنص العز ، فأحيانا ينقله كاملا وأحيانا أخرى يتصرف ، وفى أكثر الأحيان له إضافات من عنده .

وأينما تصفحت كتاب ابن القيم الجوزية « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن » وجلت ببصرك ، وجدت رائحة كتاب العز يفوح شذاها فيما حولك ، ولفت ذلك نظرأحد الباحثين المحدثين فقال : [1] « ولعله - أى ابن القيم - نظر إلى كتاب عز الدين بن عبد السلام « الإشارة إلى الإيجاز » واستوحى منه هذا المعنى الواسع للمجاز .

وأرى أن حديث ابن القيم عن المجاز ليس مجرد استيحاء من العز ، بل هو نقل كامل لما كتبه العز فى هذا الموضوع [2] .

---

(١) أنظر : كتاب « مناهج بلاغية للدكتور أحمد مطلوب ص ٧٦ .

(٢) أنظر : كتاب « الفوائد المشوق فى علوم القرآن من ص ١١ : ص ٨٧

ولبيان صحة ما أقول اجتزئ عن التمثيل بذكر ثبت للأبواب التى اشتركوا فى ذكرها ومواضعها ، ليرجع إليها فى مواضعها ليستبين النقل الكامل وها هو الثبت

مسلسل	إسم الظاهرة المتفق على ذكرها	موضعها من كتاب العز	موضعها من كتاب الإيضاح	موضعها من المطول	موضعها من الفوائد المشوق	موضعها من الإتقان فى علون القرآن	موضعها من البرهان فى علون القرآن
١	تعريف المجاز	ص١٨	–	–	ص١١	–	–
٢	الجمع بين الحقيقة والمجاز	ص١١٢	–	–	ص٨٦	–	–
٣	مجاز المجاز	ص١١٢	–	–	ص٣١	ج٣ص١٢٧	ج٢ص٢٩٨
٤	مجاز اللزوم	ص٥٨	–	–	ص٢٨	–	–
٥	التجوز فى الأسماء	ص١٩	–	–	ص٣١	–	–
٦	التجوز فى الحروف	ص٢٠	–	–	ص٣٦	–	–
٧	التجوز فى الأفعال	ص٢٦	–	–	ص٣٢	–	–
٨	مجاز التشبيه	ص٦٤	–	–	ص٤٣	ج٣ص١٢٥	ج٢ص٢٨٩
٩	الحذف وأدلته (شروطه)	ص١٨:٢	ج٢ص٢٩٠.٢٩٩	ص٢٩٠	–	ج٣ص١٧٤	–
١٠	التضمين	ص٥٤			ص٢٧	ج٣ص١٢٣	–
١١	التكرار	ص٢١٣	–	–	–	ص٣٠١.٢	–
١٢	الكناية	ص٦٣	–	–	–	ج٢ص١٢٥	ج٢ص٣٠
١٣	التجوز بالسبب عن المسبب . وبالمسبب عن السبب	ص٣٨	ص٤٠.ج٢	ص٣٥٦	ص١٦.١٨	–	–
١٤	التجوز باسم الجزء عن الكل . وبالكل عن الجزء	ص٤٨	ص٣٩٩ج٢	ص٣٥٦	ص٢٢.٢٣	–	ج٢ص٢٦٩
١٥	تسمية الشئ باسم ماكان عليه	ص٥٢	ج٢ص٤٠٢	ص٣٥٦	–	–	–
١٦	تسمية الشئ باسم ما يؤول إليه	ص	ج٢ص٤٠٣	ص٣٥٦	ص٢٥	–	ج٢ص٥٢
١٧	إطلاق إسم البشرى على المبشر به	ص٣٣		–	ص١٣	–	ج٢ص٢٦٦
١٨	نسبة الفعل إلى سبب سببه	ص٤٦	ص٤٠١ج١	–	–	–	ج٢ص٢٥٩
١٩	نسبة الفعل إلى الأمر به	ص٤٦	ص٤٠١ج١	–	–	–	–
٢٠	إطلاق الاسم على المسمى	ص٣٤	–	–	ص١٣	–	ج٢ص٢٩٧
٢١	التجوز بلفظ اليمين عن المحلوف	ص٣٥	–	–	ص١٣	–	ج٢ص٢٩٨
٢٢	التجوز بلفظ الهوى عن المهوى	ص٣٥	–	–	ص	–	ج٢ص١٩٨
٢٣	فى الإخبار عن الجماعة بما يتعلق	ص٤٧	–	–	ص٢١	–	–
٢٤	فى تنزيل المتوهم منزلة المتحقق	ص٥٢	–	–	ص٢٦	–	–
٢٥	فى التجوز بلفظ الفعل عن مقاربته	٥١	–	–	ص٢٩	–	–
٢٦	الأمثال فى القرآن	ص٢١٣.١٠٠	–	–	–	ج٤ص٣٨	–

واكتفى بهذا القدر من خلال هذا الثبت التوضيحى والذى يمثل أثر العز فيمن بعده وما ذكرته على سبيل التمثيل ، وليس الاستقصاء الكامل لكل الظواهر المشتركة بين العز وبين الذين أثبتنا مواضع نقلهم عنه .

ومن فرط إعجاب هؤلاء المتأثرين بالعز أثنوا عليه ثناءً حسناً فهذا الإمام السيوطى يتحدث عن المجاز ، ويستشهد بما صنفه العز فيه ، فيقول : « وقد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين عبد السلام ، ولخصته مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » [١] .

وقد أثنى عليه - أيضا - الإمام بدر الدين الزركشى بقوله : « وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى » [٢] .

وبعد فذلك هو العز وكتابه « الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز » وقد رأينا فى الباب الأول رأى المعاصرين له واللاحقيـن ، وما ذكره ابن السبكى فى كتابه ورأيه فيه ، وها هم أولئك الذين نقلوا عنه وأثنوا عليه وعلى كتابه .

فماذا عسى أن يكون موقف المحدثين من الرجل .

وهذا ما سأتحدث فيه على التو .

---

(١) أنظر : الإتقان فى علوم القرآن ج ٣ ص ١٠٩

(٢) أنظر : أنظر البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٢٥٥

المحدثون والعز بن عبد السلام

ولقد تعرض للعز من نقاد العصر الحديث نفر نذكر منهم المرحوم الأستاذ الدكتور / أحمد أحمد بدوى ، والأستاذ الدكتور / أحمد مطلوب .

عاب الأستاذ الدكتور أحمد بدوى على العز تقسيمه للمجاز فى كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » ووصفه بأنه قد بلغ حد التفاهة ، وخالف الذوق اللغوى ، وضرب لذلك أمثلة من الكتاب دون أن يشير إلى المصدر ولا إلى العز نفسه ، حيث قال فى كتابه « بلاغة القرآن » فقد وجدت كثيراً ممن تعرضوا لدراسة المجاز اللغوى فى القرآن الكريم قد مضوا يلتمسون أمثلتة ، ويبوبونه ، ويذكرون أقساماً كثيرة له حتى بلغوا من ذلك حد التفاهة ومخالفة الذوق اللغوى ، فوجدوا مثلا فى قوله تعالى : « إنا منكم وجلون » [١] مجازا لغويا من وصف الكل بصفة البعض ، إذ الوجل محل القلب ، وقياسا على ذلك جعلوا مثل : محمد عالم وجاهل ، وراغب وخائف ، وما على شاكلها مجازا لغويا [٢] .

ولا أريد أن أمضى فى بيان ما تكلفوه ، وجروا وراءه لتلمس الأسباب لعد الآيات من باب المجاز اللغوى ، وكل ما أريد قوله ههنا أن أكثر هذه الكلمات أصبحت توحى بالفكرة من غير أن يثار فى النفس المعنى المجازى .

وخذ قوله تعالى:« وجوه يومئذ خاشعة » ، قالوا إنه من إطلاق الجزء وإرادة الكل فقد عبر بالوجوه عن جميع الأجساد ، لأن النصب والتنعم حاصل لكلها وهما يظهران أتم ظهور على الوجه ... ولا أرى فى ذلك كبير عناء » [٤] .

نعم وإن كان العز قد توسع فى المجاز وأن الأمثلة التى ذكرها الأستاذ الدكتور من هذا القبيل لكنى لا أوافق الأستاذ الدكتور بدوى على ما ذهب إليه فى أن هذه البحوث قد بلغت حد التفاهة ، وخالفت الذوق اللغوى .

---

(١) سورة الحجر : آية [٥٢]

(٢) وهذا كلام العز وأمثلة فى كتاب ص ٦٧

(٣) سورة الغاشية : آية [٢]

(٤) أنظر : كتاب بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوى ص ٢٢٤ ط . نهضة مصر

فالعز إنما مبنى المجاز عنده نظره للكلمة من حيث استعمالها فى المحسوسات فإذا خرجت عن أصل وضعها اللغوى ، أو خرجت عن استعمالها فى المحسوسات إلى المعنويات فإنها تكون عنده مجازا ، ومن أجل هذا كثر المجاز عنده ، وإن كان بعضها صار واضحا يجرى مجرى الحقيقة لشهرتها فى الدلالة البلاغية .

أما استكثار العز من الأمثلة والشواهد والتقسيمات والتبويب والتى عابها أيضا أستاذنا على العز ، فإنى أقول : إن استكثار العز من الشواهد والأمثلة فتلك طريقة أهل الذوق فى الفنون والآداب ، ولا يمكن أن تخالف الذوق كما ذهب الدكتور بدوى ، ذلك أن يضع أيدينا على النماذج والأمثلة فيتحسسها المتذوق ، فيشاهد أسرار الفن ويعرف مواطن الحسن ، ومواقع الجمال .

على أن الأستاذ الدكتور يعود فينصف صاحبنا فيقول : « ولكنك لا تعدم فى بعض الأحيان روعة فى بعض ما عدوه من ألوان هذا المجاز فى قوله تعالى :« يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » [١] ، وقوله تعالى :« ذلك بما قدمت يداك » [٢] وقد لا تكون اليد هى الفاعلة ، ولكن لما كان أكثر الأعمال بها جمل هذا التعبير وراق [٣] .

وأظن أن الأستاذ الدكتور بدوى لم يكن محقا فى وصف مباحث العز بالتفاهة ، خاصة وأن نقده انحصر فى جزئية صغيرة من جزئيات المجاز المرسل التى ذكرها العز ، ولم يتعرض لبقية المباحث فى كتاب العز التى قد تصل إلى حد الروعة والجمال .

أما الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب فإنه يذكر العز فى كتابه « مناهج بلاغية » ويعرض لأبواب الكتاب عرضا سريعاً ، ثم قال فى خاتمة حديثه عن العز « إن عز الدين بن عبد السلام كان بعيداً عن البلاغة بأسلوبها الذى ورثه عن الأوائل ، وأنه اتجه إلى تبيان ما فى القرآن من إيجاز ومجاز ، غير ملتفت إلى التعريفات والتقسيمات ، وكان جل همة أن يخدم كتاب الله ويوضح مجازاته .

ومن هنا اختلف كتابه عن كتب البلاغة ، وكان أقرب إلى الدراسات القرآنية التى اتخذت من البلاغة سلما ترقى به إلى كشف الإعجاز [٤] .

---

(١) سورة البقرة آية [١٩] (٢) سورة الحج آية [١٠]

(٣) أنظر : بلاغة القرآن د . بدوى ص ٢٢٥

(٤) أنظر : مناهج بلاغية . د . أحمد مطلوب ص ٣٣ ط . وكالة المطبوعات (الكويت)

وتعقيبى على هذا الرأى أنه كلمة عامة قيلت فى معرض حديث الدكتور مطلوب عن البلاغة عند الأصوليين ، ومع ذلك فإنه لم ينظر إلى العز فى ضوء العصر الذى ألف فيه الكتاب ، ولا على أنه أصولي له نظرته الخاصة إلى المجاز وأنواعه .

ويحق لى أن أسأل الأستاذ الدكتور : هل لا بد للبلاغى أن يأخذ بكل ما قاله الأوائل دون نظر أو تجديد ؟ وأعتقد أن الأستاذ الدكتور يجيب على هذا التساؤل بالنفى المحتم وإلا فلماذا إذن نقول إن عبد القاهر هو المبتكر الأول للمجاز العقلى ، وهذا ما لم يقله الأوائل ، ولذلك أبعد الباحث العز عن البلاغة .

ثم علل الأستاذ الباحث سبب بُعد العز عن البلاغة بقوله:« لأنه اتجه إلى تبيان ما فى القرآن من إيجاز ومجاز غير ملتفت إلى التعريفات والتقسيمات »[١] .

وأقول : إن البلاغة العربية التى ازدهرت على يد عبد القاهر الجرجانى ما أخرها إلا نفر من علمائها الذين اهتموا بالتقسيمات المنطقية والتعريفات الفلسفية . ورسموا الحدود ووضعوا التعاريف ، ومن ثم جاءت كتبهم وهى أبعد ما تكون عن هذا الفن .

ولا يمكن أبدا أن نوافق الأستاذ الدكتور فيما قاله أو نأخذ بالسبب الذى أبعد به العز عن البلاغة كما ورثها عن الأوائل ، وقد أثبتت الدراسة أن معظم ما ذكره العز فى كتابه قد مهد له الأوائل ، بإشارات وتأصيل عميق ، ثم ماذا يضر العز أن يكون غير مهتم بالتقسيمات والتعريفات .

ومأخذ آخر يأخذه الباحث على العز « أنه لم يقسم المجاز إلى أنواعه المعروفه ، وأشار إلى تجوز العرب فى الأسماء والأفعال والحروف ، وأدخل فى هذا البحث خروج الحروف عن معانيها الأصلية والتجوز بالماضى عن المستقبل والتعبير بالمستقبل عن الماضى ، وذكر خروج الخبر والأمر والنهى عن معانيها الحقيقية »[٢] .

والظاهر أن الأستاذ الدكتور مطلوب يريد أن يسلخ العز عن منهج الأصوليين ، بدليل أنه يصر على ربطه بالبلاغيين ، وقد رأينا فيما سبق أن للأصوليين طريقتهم ومنهجهم الخاص فى تقسيم المجاز .

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٧٣

(٢) أنظر المصدر السابق ص ٧٢

أما الصيغ التى ذكرها الناقد وخروجها عن معانيها الحقيقية ، فقد أشار إليها كثير من البلاغيين ، وإن كان للعز قصب السبق فى القول بخروج هذه الصيغ عن معانيها الحقيقية وأنها من المجاز ، وهذا ابتكار وابتداع يحسب للعز لا عليه .

وذكر الناقد أيضاً أن « العز تحدث عن أنواع كثيرة من المجاز لم يتعرض لها البلاغيون كالتجوز بلفظ البشرى عن المبشر ، والتعبير بلفظ البعض عن الكل ، ومجاز التضمين »[1] .

وقد يعجب القارئ من هذه المآخذ الواضحة كالشمس فى رائعة النهار حيث أن التعبير بلفظ البشرى عن المبشر أحد المباحث التى اهتم بها علماء الأصول ، أما التعبير بلفظ البعض عن الكل ، فقد ذكره البلاغيون والأصوليون على السواء وهذا مما لا يخفى على الأستاذ الناقد وهو رجل من رجالات البلاغة فى المشرق الإسلامى .

وأما مجاز التضمن فإنه يعتبر أحد إضافات العز وابتكاره وإن كان التضمين معروفا لدى النحويين ، فهو أول من جعله من الصيغ التى خرجت عن الحقيقة إلى المجاز .

وخلاصة القول أنه كان الأجدر بالأستاذ الناقد أن يقارن العز ومباحثه بدراسات الأصوليين كفقيه أصولى ، وربطه بالعصر الذى برز فيه .

وبعد فهذه بعض ما وقع عليه يدى من آراء المحدثين فى العز ، أردت أن أذكرها لأبين للقارئ أن الرجل يغمطه حقه كثير من النقاد والمحدثين .

وأنه غير معروف لدى الباحثين إلا على أنه فقيه أصولى لا جهد له فى المباحث البلاغية .

وإذا كانت هذه هى جهود العز فى كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » فإنى أوجزأهم ما كشفت عنه هذه الدراسة فى خطواتها الأولى :

دراسة تقويمية لكتاب العز
« الإشارة إلى الإيجاز»

تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة أمور :

الأول : منهج المؤلف فى الكتاب وما له فيه .
الثانى : مصادر المؤلف فى الكتاب .
الثالث : نقد الكتاب وما عليه فيه .

أولا : منهج العز فى الكتاب وما له فيه :

لم يبين العز سبب تأليف الكتاب ، ولا منهجه فيه ، واكتفى بمقدمة قصيرة خلت مما يجب عليه أن تكون من توضيح لمعالم الكتاب ومنهجه فى تناول الموضوع كعادة بعض المؤلفين .

ولم يصرح كذلك - بالهدف الذى من أجله ألف الكتاب ، ولعل هدفه - كما بينت من قبل - هو خدمة كتاب الله تعالى وتوضيح مجازاته ، وبيان ما فيه من إيجاز ومجاز .

وقد أوضحنا خلال البحث الأمور التى يمكن أن تحسب للعز فى كتابه ومنها ما يأتى :

١ - دارت معظم أمثلته حول القرآن الكريم ، وضمها فى كتاب وقد كانت نماذج متناثرة فى كتب البلاغيين .
٢ - جمع الحذف فى موضوع واحد وحدد المجاز فيه ، ولم يقصر المجاز فيه على حذف المضاف .
٣ - استقصى ما فى القرآن الكريم من حذف المضاف على ترتيب السور التنازلى .
٤ - أول من حدد الأدلة التى تعين على تقدير المحذوف .
٥ - لم يعرف الحذف بأنواعه المتعددة من المجاز إلا على يدى العز ، وسار على نهجه البلاغيون المتأخرون .
٦ - طوع العز التطبيقات الفقهية للمسائل البلاغية .
٧ - يعد العز مبتكرا لمجاز الحروف ومجاز الأفعال ومجاز التضمين ومجاز التقصيد .
٨ - حاز العز على قصب السبق فى القول بمجازية الصيغ التى تخرج عن دلالتها وتحديد نوعية المجاز فيها ، مما ينسب إليه فضل التصريح والابتكار .
٩- جمع فى كتابه بين النحو واللغة والتفسير بجانب الاهتمامات البلاغية .

١٠- يدلى فى الكتاب بآراء نحوية وبلاغية تثير إهتمام الباحثين .
١١- تطرق لكثير من المباحث البلاغية التى يدخل بعضها فى علم المعانى وبعضها فى علم البيان .
١٢- يمتاز كتابه بطابعه العلمى الدقيق وبشموله لكثير من المسائل البلاغية والعقائدية .
١٣- يشهد الكتاب للعز بأنه صاحب حسن لغوى دقيق .
١٤- ينسب الرأى لصاحبه ويعترف بالفضل لصاحب الفضل ، كما بين أن سيبويه أشار إلى مجاز التشبيه ، وأن سيبويه أولى من مهد بالمجاز فى الحروف .
١٥- ينبه العز إلى صاحب الفضل والابتكار فى بعض المسائل البلاغية وهى محمدة له .
١٦- يحيل القارئ إلى مواضع سيذكرها فيما بعد ويفى بما يعد .
١٧- أثرى البلاغه بهذا الكم الهائل من الشواهد والأمثلة من القرآن والحديث مما لم نراه عند من سبقه من البلاغيين والأصوليين على السواء .
١٨- التزم بعنوان الكتاب ، حيث يشير ولا يفصل فى المسائل .
١٩- تناول مسائل العقيدة ، ووضح ما بها من مجاز ، دون سائر البلاغيين الذين انصب جل اهتمامهم على الجمال فقط .

هذا مما يحسب للعز ، وهو على سبيل المثال لا الحصر ، فقد ذكرت ما يمكن أن يكون له ضمن الدراسة ، ولم أغفل شيئاً من ذلك .

* **المسألة الثانية : مصادر الكتاب :**

استفاد العز من الحركة العلمية النشطة فى عصره التى اهتمت بطلب العلم والتأليف فيه ونشره ، فالعز ولد وعاش فى عصر ازدهر فيه العلم وبلغ نضوجه كما بينا فى القسم الأول من البحث .

ولهذا يبين لنا أن لا يمكن أن يستقل العز بحديث - رغم ابتكاره لبعض المسائل - وإنما يرجع فى ذلك ويستضيئ بآراء من سبقه ، وقد بينت فى القسم الأول من المبحث طريقته ومنهجه فى التأليف بصورة عامة ومصادره التى اعتمد عليها كثيرا ونتناول ذلك بصورة خاصة فى كتابه « الإشارة إلى الإيجاز »

والعز لا يشير إلى المصادر التى نقل عنها فى كتابه ، وإن كان أحيانا يعزو وبعض الآراء إلى أصحابها دون ذكر المصادر المنقول عنها الرأى ، كما نسب أقوالا إلى الزمخشرى وسيبويه وأبى عبيدة .

« ونلاحظ على مصادر العز أنها متعددة ، ففى القراءات اعتمد العز على كتب القراءات السائده فى عصره ككتاب « الحجة فى علل القراءات السبع » لأبى على الفارسى ، وكتاب المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى ، فيكثر من قوله : قال أبو على الفارسى .

أما مصادره فى التفسير ، فالكشاف للزمخشرى من أهم مصادره فى هذا الكتاب ، فهو يتناول تأويلاته للآيات وبوجهها توجيها بلاغيا ، أحياناً يتفق معه ، وكثيراً ما يخالفه فيما ذهب إليه .

أما مصادره اللغوية والنحوية فهى كثيرة ، منها مصادر جمعت بين اللغة والنحو ولها صلة وثيقة بالنص القرآنى ، كالكتب التى ألفت فى معانى القرآن وغريبه ومجازه ، ومنها كتب لغوية ونحوية بحته فنقل عن الفراء والكسائى والمبرد وكلهم ألفوا فى معانى القرآن ، ونقل عن أبى عبيدة صاحب كتاب « مجاز القرآن » وعن ابن قتيبة وله كتاب « تأويل شكل القرآن » ، وكتاب « غريب القرآن » وعن الرمانى وله رسالة فى إعجاز القرآن .

ونقل نقولا قليلة عن الخليل بن أحمد نقلا عن سيبويه صاحب « الكتاب » ، وينقل عن هؤلاء جميعا ولا يشير إلى كتبهم ، ولكنه أحيانا يشير إليهم ، وقد عزوت هذه النقول إلى مصادرها والتى تعرضت لها أثناء الدراسة .

أما مصادره البلاغية ، فالواضح تأثره بما كتب عبد القاهر والفخر الرازى والشريف الرضى ، ولكنه لم يشر أية إشارة إلى هؤلاء ، ولعل سبب ذلك أنه استوعب ما كتبوه ثم أضاف إليه بأسلوبه الخاص على طريقة الأصوليين .

ورغم أن العز تأثر بكتابات الأصوليين وخاصة بشيخه الآمدى إلا أن مصادره الأصولية غير واضحه فى كتابه ، حيث جاء تصوره عن المجاز موافقا أحيانا لأرائهم ومخالفا أحيانا أخرى ، فجاء كتابه مزيجا بين آراء البلاغيين والأصولين ، ولذلك نهج نهجه بعض البلاغيين كالخطيب القزوينى ، ودار فى فلكه من لحقه من الأصوليين كالسيوطى والزركشى .

المسألة الثالثة : نقد الكتاب :

أبى الله أن يتم كتاب إلا كتابه ، وإذا كان فحول العلماء الذين كرسوا حياتهم فى طلب العلم ، فطلبوه من أجل أنه سبيل الهدى ، فكرسوا كل أوقاتهم له ، وحسبهم فخرا أن تعد أخطاؤهم .

هذا من ناحيـة ، ومن ناحية أخرى فإن الإقدام على نقد عمل ولا سيما من اشتهر منهم بغزارة علمه وسعة إطلاعه من الأمور الصعبه - وممن - من مثلى الذى لا يزال يحبو ليتعلق بخيوط العلم الأولى - ولكن ليست هناك حيلة فى عدم ركوبها ، فمن المعلوم أن عمل البشر غير المعصومين عرضة للخطأ ، ولذلك فلا تمنع مكانة العالم أن يقال أخطأ فى كذا ، وإن كان النقد الذى يوجه إليه عرضة للخطأ أيضاً .

وسأذكر بعض الملاحظات على المؤلف وهى تنحصر فى ناحيتين :

الناحية الفنية ، والناحية العلمية ، وفى كلتا الناحيتين سوف أذكر وجهة المؤلف بناء على دراستى للكتاب والتى لم أغفل منها شيئاً فى القسم الثانى - وسواء أكانت تلك الوجهة معقولة أم مردودة .

١ - الناحية الفنية :

سبق أن أشـرت إلى أن الكتـاب قد اشتمل على ثمانية وأربعين فصلا من فصول المجاز ، وقد يشتمل الفصل أحيانا على ستة عشر نوعا كما فى مجاز اللزوم ، أو مائه وتسع نوعا كما فى مجاز التشبيه ، هذا فضلا عن باب الحذف .

وقد يرى الباحث فى عدد هذه الفصول وما اشتملت عليه من أنواع تكراراً أو تداخلاً أى أنه كان من الممكن دمج بعضها مع البعض الآخر وحذف المكرر منها .

هذا على الرغم من أن الكتاب كان مجرد إشارة دون إطالة أو شرح أو تحليل أو إسهاب .

أما الناحية العلمية أو الموضوعية فتظهر أحيانا فى عدم ذكر العز لوجهة النظر المخالفة لدليلة ، وأنه يعلق رأيه أحيانا دون بت فى المسألة ، ولكنه يتركها متأرجحة كما فعل فى الكناية .

ومن الأمور التى يمكن أن نأخذها على العز فى كتابه ما يأتى :

١ - توسع العز فى المجاز وإفراطه فيه إفراطا غير محمود فى بعض الأحيان ، وذلك جعله عرضه للنقد والتجريح كما فعل بعض النقاد المحدثين .

٢ - مع كثرة شواهده القرآنية ، فإنه يكتفى بتحليل بعضها ويترك معظمها للقارئ .

٣ - لا يناقش التعريفات والمصطلحات البلاغية واكتفى بمجرد التطبيق والتمثيل فاقتصد فى ذكر المصطلحات وشرحها وولى وجهه شطر الدرس العملى التطبيقى فقط .

٤ - الأمور عنده متداخلة ، حيث يضع عنوانا للفصل ثم يخلط فيه أكثر من أمر .

٥ - لم يكن كتابه كتاب بلاغة بالمعنى المعروف ، فالبلاغة فيه مضطربة ، مما يجعلك تضطرب فى حكمك على الكتاب هل هو كتاب تفسير على منهج البلاغة أم كتاب بلاغة على طريقة الأصوليين .

٦ - أدخل فى كتابه مباحث أخرى بعيدة كل البعد عن العنوان الذى حدده للكتاب ، كالفصل الأخير من الكتاب الذى تحدث فيه عن مقاصد القرآن الكريم والتكرار ، ومنهجه فى التفسير ، وأقسام التفسير وغير ذلك .

٧ - لا يعزو بعض الأقوال إلى أصحابها ، وكذلك الشعر .

٨ - لا يخرج الأحاديث التى يستشهد بها فى كثير من الأحيان .

٩ - ينقل قطعا بأكملها من تفسير ابن عطية دون الإشارة إلى ذلك .

١٠- يلخص كلام الزمخشرى كثيراً .

١١- يستعمل كلمة « أعم » « بمعنى » أخص .

١٢- يقف على المعانى وحدها وبيان ما فى الآيات من مجاز ، ولم يعلق على القيمة الأدبية لشواهده كما فعل البلاغيون .

١٣- يشير إلى الرأى ويعلقه دون البت فيه .

١٤- يكرر كلامه وتعليقاته فى أكثر من موضع .

١٥- يذكر أبحاثاً فى غير محلها ، ويبحثها مرة أخرى باستقصاء .

١٦- يتغاضى عن آراء السابقين رغم تأثره بهم .

١٧- غير متسق فى عرض المسائل البلاغية يسهب فى موقع ويوجز فى موقع آخر .

ومجمل القول فى هذه المسألة أن ما أخذ على العز غير داخل فى صلب الموضوع ، وإنما هى أمور هامشية باستثناء توسعه فى المجاز وإفراطه فيه مما عابه عليه النقاد .

واكتفى بهذا القدر كمآخذ مجملة فى نقد الكتاب والتى أظهرتها مفصلة فى القسم الثانى وما احتوى عليه من مسائل بلاغية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السيد حسونه